مراجعات

من زمن التتوهيج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

العدد (4819) السنة الثامنة عشرة
الخميس (26) تشرين الثاني 2020

في ذكرى شيخ المنافي

كاظم السماوي

2 « كاظم السماوي.. شيخ المنافي وشاعر الأممية الصافية

3 « الشاعر كاظم السماوي في تقييم الكبار

8 « حوار مع الشاعر الراحل كاظم السماوي

العراقيون
من زمن التوهج

كاظم السماوي.. شيخ المنافي وشاعر الأممية الصافية

حسين الهنداوي

منذ ديوانه الأول (أغاني القافلة) المكتوب في أزمنة البراءة والعنفوان، والصادر في بغداد عام ١٩٥٠، وحتى اللحظة، وكاظم السماوي يتألق متباهياً وأكاد اقول متماهياً مع انسانية حالمة وآسرة في آن، هي رفيق عمره الآخر: عبرها تسامى، ومن اجلها تناثر، وبها اسمى صحيفته "الانسانية" التي اصدرها في بغداد بعيد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كما دسها علناً، وغالباً سراً، في كل قصائده تقريباً، مانحاً اياها للرائح والغادي، وللقريب والبعيد ودون مقابل دائماً.

واذا كان الناقد الراحل (ميشال سليمان) رأى في شعر السماوي "رافداً باهر الخصب في نهر الشعر العربي الحديث" فإن من المؤكد لدي انه شاعر تلك الانسانية الصافية الثائرة انما المغدورة، وليس في بعدها العراقي وحده برغم ان هذا البعد كان نطفتها الاولى وظل حاضراً فيها كجوهرها الخفي. والسماوي ايضاً يساري وواقعي وملتزم وكل ذلك بالمدلول العريق وأكاد اقول الأول لهذا المعاني. وتحت ضوء هذه الخاصية وحدها احياناً، ينبغي في رأينا قراءة معظم وربما كل قصائده، اذا اردنا استكناه اسرارها وإصراره على العطاء.

فهذا الشاعر الحالم مبكراً "بالقمم المغسولة بالشمس" يندر ان لا يتقاطع قارئه في لحظة او اخرى سواء في قصيدة من قصائده التي تتمدد على تباريح نصف قرن، او موقف او وقفة في منفى من المنافي التي لم تعد تحصى بيسر، مع رموز غاية في التنوع والتناثر والتنائي الا انها تتقاطع بل تتداخل دائماً عبر عمقها الانساني المسكون بالامل الواثق ظاهرياً انما القلق في مكان او لحظة منه. ويكفي ان اذكر من ديوانه الاول وحده اسماء جعفر ابو التمن وبول روبنسن والشاعر الزنجي الاميريكي ماك كربا وبرنادشو والمعري وكارل ماركس فيما تجسدت في مجموعته الاخيرة هذه باقة تضم (عروة بن الورد) و(علي فودة) و (حلبجة) و(عطشان الازيرجاوي) وشهداء قصر النهاية و(حسن السريع) وكردستان "وردة النار الخالدة". هذا الهاجس، وهذا الوفاء، كان قد تأكد سلفاً وترهّف انما تسيس اكثر في ديوانه الثاني "الى الامام ابدا"، الصادر في بيروت عام ١٩٥٤، والثالث "الحرب والسلم" ثم في "رياح هانوي" و"الى اللقاء في منفى آخر"، و"قصائد للرصاص.. قصائد للمطر" حيث الرصافي وبيروت والشاعر الزنجي جوزيف نورث وحمالو ارصفة الموانىء الامريكيون وديان بيان فو والشرق الاحمر وهانوي وبكين، هي الرموز التي تقاسمت الهواجس لديه انما مناصفة، كما دائماً، مع العراق الذي لئن صار محض طيف، كان في غياهب الدخيلة كل شيء ومركز النبض ساعة الحساب الحقيقي لدى كاظم السماوي الذي ظل ينوّع ويزهّر رموزه الانسانية ببهجة مدافة بخيط من الحزن عميق هو ايضاً ومرير في زوايا منه.

ذلك لان نزفاً ثراً وجسيماً الى هذا الحد يخفي اخاديد غائرة، واي أخاديد، وأي اوردة تلك التي تختزن كل هذا العمر من التغربات والمنافي الخارجية والداخلية والاغبرة والانكسارات لهذا الشاعر الذي كتب له وعليه مرة بعد اخرى ان يرى بيته يحترق... واي احتراق.

وطن من رماد
لم يعد قبلة للاساطير، موقداً للسنا، وآيات نار
تلمست وجهي ولم يك وجهي
مرايا السلاطين ملء الزمان...
ملء المكان
في (فصول الريح ورحيل الغريب) الاوردة هي ذاتها من سيشتعل هذه المرة في فاجعة "رحيل الحلم"... وهل من فاجعة يمكن ان تنهش القلب اربا اربا كرحيل ابنه نصير:
هد حيلي مصابك الجلل
كيف اقوى وثقله.. جبل...
اهو العدل مسه الخبل
ان اطيل ثوى وترتحل...
جئت حلما ورحت حلما،
رفيفا،
جرحك الجرح
كيف يندمل؟

هكذا كان رهيبا مشهد فقدان فلذة الروح لكن، وكليث بلا عرين يكابر كاظم السماوي مشاطراً الريح براءتها وقلقها المكتوم ولا ابداليتها الابدية وبهجتها ايضاً، مهما كانت هذه ناضبة وعابرة. و"ملقى وراء الليل" محروماً من وطن صار مسوراً على ابنائه بالحراب، ورافضاً مهادنة انظمة ذئاب واميات مخابرات وجبهات ذليلة ظل السماوي يتفرى الدروب هائماً بضميمته الاولى، العراق، وبـ "اصداء حلم نرممه كل يوم" متلفعاً طواعية بجرح "انعكاس المرايا وموت المناشير والثورة العاقرة.."

غامت بعينيك الديار
لم يبق منها – يا رحيل – سوى الغبار
سوى ظلال انكسار
نصحو على السكين في اعناقنا نغدو
ونكسر كالحجار

يقينا، ثمة استمرارية ووحدة داخلية مدهشة بين كل مجموعات كاظم السماوي الشعرية تعبر عنها نزعتها الانسانية، نصف العفوية، المستوحاة والتي تعبر عن نفسها في جملة من الخصال ليس ما تقدم الاجزءا منها، ولا اهادن، مجموعته الشعرية الجديدة هذه تحمل كل هذه الخصال دفعة واحدة ومن جديد، لكنها تحمل خلسة، وكالحفيف، حكمة شيخ إنتمى ابدا الى الحلم والى الحياة:

شجراً لرملكم طويت العمر
ما رسمت خطاي .. سوى خطاي
لم تنطفىء جمرات حلمي
يا سواي .. ولم يكن يوماً..
سواي
وطن؟
ومذ خمسين عاماً كان لي وطن
ومذ خمسين عاما كان لي منفى
وما اغترب الزمان
الريح بعدكمُ تلمّ غباركمُ...
وما انطفأ السراج
لعل شظايا القلب هي ما يتطاير هنا متسللا من بين ما يشبه الصخور، متلوياً من شدة غربته، انما ايضاً من وطأة وغلاظة اعوام تنوء بأعباء خمسة وخمسين هجيراً ولا يزال يغريها التراكم والتمدد وكما الى الابد..

ها انت مرتحل .. وكم هاجرت
يا لله كم دال الزمان.. وكم تهاجر
ماذا تبقى من لهاث العمر يا شيخ المنافي
الليل يطفىء نجمه،
الطرقات موحشة...
وليل الصمت... ملح

لكن ليالي المنافي ستغدو اكثر عتمة من الملح ومحض غبار حينما رحلت والى الابد بغتة، رفيقة العمر والدرب الطويل هذه المرة، وفي غبش اسود وتحت سماء غريبة:

لم يبق
غير صدى يمور وينطفىء .. نأت الديار
راحت رسائلنا وعادت للغبار...
من الغبار
الكون منكسر وكان الوهم يوماً... ان نعود
منديلك الفضي فاتحة النهار لم ترحلين...؟

العراق، الفرات، الثورة، السماوة، الابن، الزوجة، العائلة، الشعب... كل منها يأخذ مكانه الخالد والرحيب والمشمس في صدر هذا الشاعر، انما كشجوج عميقة خاصة وكصلبان محمولة على كاهل لا يريد ان يتطأطأ مهما تنادت على ثنية غادرات السنين، وقد تعصف الريح مقبلة او مدبرة لا فرق: فما انت.. ان لم تمت واقفاً، بيد ان للألم غروره في لحظات الشدة:

انا ان خسرت العمر لم أخسر خطاي
حاصرت منتفضاً حصاري
ليس من احد سواي
فأنا التوازن والتناقض والمصير
وانا خطاي

لا فسحة ابدا للهزيمة اذا، لدى هذا الشيخ الذي لم تعد له من الذكريات سوى الانهر اليابسة، وسوى زهرة من حجر، وقوارب مهجورة.. غادرتها الرياح ولا فسحة للنحيب.. انما، والى جوار القطب الاعلى للكون، الى المحيطات الشمالية المتجلدة في السويد، سيحمل هذا الجنوبي الاصل والفصل حطام نيازكه بانيا منها منفى يحمي فيه وحدته:

وحدي اهوّم في سهوب الارض
يا وحدي..
تمر بي الوجوه وتختفي
وتجوس بي الاصداء عابرة
ولا تفضي الى قمر يضوي الليل
يا وحدي.. ويسكنني الصدى
ويعود بي برد الجدار..
الى الجدار

ووجها لوجه مع الريح، و"بين سماء وارض خاوية الصدى"، ومع حقيبة هي "وطني المهاجر في الحقيبة"، ثمة حبل سري يظل يشد كاظم السماوي الى تلك الانسانية الحالمة الاولى التي لا ترى بوصلته سواها في لحظات رقاد الرياح، كما لو انها الملاذ الاول، والملاذ الاخير، والملاذ الوحيد دائماً... و(عروة بن الورد) هو الرمز بداهة هنا، بيد ان جاهلياً آخر تخطى زمانه كعروة، النابغة الذبياني، السّماوي الآخر، هو الاقرب في رثاء الحال:

تصبرت حتى مل من صبرك الصبر
فماذا يقول الشعر لو هدر الشعر
ومن انتم؟ مر الزمان وانتم،
سراب ولا ماء، وشوك ولا زهر
واعلم اني من بلاد عتت بها شرائم لا فرع لديها ولا جذر
ويالك عملاقا تخطى زمانه
كما يتخطى في مشارفه النسر

هذه النبرة التي تذكرنا بوادي السماوة ورمل مفازاتها الذهبي، لم تفارق ايا من مجموعاته الشعرية الكثيرة، جاعلة من هذا الشاعر بين ابرز شعراء القصيدة العمودية العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين، الى جانب طاقاته الشعرية الاخرى، الا انها تتوازى مع معطى رفيع آخر في شعره، يتمثل في ذلك التعاطف التلقائي بل الانتماء الذي يأخذ شكل غناء شبه فطري وجارف في الدفاع عن الامة الكردية المضطهدة انما المقاومة، مما يميز بين نظرائه هذا الشاعر العربي المعلن انتماؤه من قبل لثورات الجزائر وفلسطين وظفار والعشرين والقرامطة والزنج.

كوردستان
مر العمر والايام غاربة
ومذ خمسين عاما كنت عاشقك المتيم
كنت لي من غير ان تدرين...
ولو اني ولدت وعشت ثانية
لكان اسمي على الايام.... كوردستان

نعم، "شاعر القافلة الانسانية" كاظم السماوي، كما اطلق عليه اللبناني الراحل (محمد شرارة) في ١٩٥٥. مستقبلاً مجموعته الاولى "أغاني القافلة" ولقد ظل وفياً لانتمائه الاول ذاك، هو المجايل للسياب ونازك الملائكة والبياتي وبلند الحيدري وهو المواكب لمظفر النواب وسعدي يوسف، لكن المتجه بحرية منذ ومضته الاولى الى اعتناق ارادة جماعية، متطلعة وحالمة وفردية وهذا لا شك به، الا انها جماعية بكل مساماتها كما هي ثورية، بينما كان هؤلاء بحماسة عفوية وتطلع مماثلين متجهين بحرية ايضاً لاعتناق تفرادتهم المباشرة، وهذا تحديداً ما سيصنع خصوصياتهم التأسيسية كاعتناقات عفوية متغايرة، انجبت جماليات متضادة غالباً، ميزت كلا من التوجهين منذ البدء رغم اوجه التقاطع العديدة الخفية منها والظاهرة التي انتمى لها جميع شعراء ذلك الجيل السخي نفسه.

وهذه المجموعة الشعرية الجديدة تأتي لتؤكد تجربة شعرية متميزة ومكتملة وموقفاً لم يتردد شيخ المنافي وشاعر الانسانية العراقية الصافية كاظم السماوي في دفع ثمنه باهضاً وكاملاً وما يزال مواصلاً اصرارا رائعاً على الوفاء والعطاء.

عراقيون
من زمن التوهج

الشاعر كاظم السماوي في تقييم الكبار

عبد الجبار نوري

أنهُ طودٌ شامخ، وأنوار أزلية على قمة جبل قنديل، ونوارس مهاجرة على ضفتي الفراتين، وهو نموذج أنساني للمثقف الوطني سمته الأدب الواقعي اليساري الملتزم، وشيخ المنافي،التي قضمت الغربة اللعينة الخمسين من عمره التسعين بين المجر والصين وأخيرا ثلوج السويد وغاباتها الموحشة،وبذلك لُقب بشيخ المناضلين، توأم جيفارا وهوشي منه، وأعطى سلفا نصف عمره فاتورة مبصومة من سجون الدكتاتوريات المظلمة ---- هو أبو رياض كاظم السماوي ولادة ١٩١٩ ورحل عن دنيانا الفانية في ١٥ آذار ٢٠١٠، تاركاً بعده أرثاً ثقافيا ثراً مترعاً بأوسع خزانة ذهبية وماسية تحوي على سبعة أو تسعة دواوين زينت أرشيف الذاكرة العراقية والعربية والعالمية بذخائرنفيسة موسومة ببصمات سومرية بمقتربات جسور عالمية من الشعر الملحمي، وأشبه ما تكون بقصائد الملهاة، فكانت سنة ١٩٥٠ كتب ديوانه الأول (أغاني القافلة)، وبعد ١٩٥٨ كتب الدواوين التالية : ملحمة الحرب والسلام، إلى الأمام أبداً، فصول الريح ورحيل الغريب، قصائد للرصاص --- قصائد للمطر، رياح هانوي، إلى اللقاء في منفى آخر .

والمعذرة لكوني لست ناقدا أدبيا بل كاتبا وقارئا مدمنا على قراءة نتاجات مثل هذه القامات الشامخة والتي تركت بصماتها في ذاكرة الأدب والثقافة العراقية والعربية والعالمية، لذا وجدتُ من الضروري طرح هذا السؤال بغية مشاركة القاريء الكريم---- السؤال : في أية بقعة يسكن كاظم السماوي في جغرافية وتأريخ الشعر الوطني والأممي الثوري؟ متمنيا أن تكون الأجابة مرضية للبعض وهي :

أولاً- يتسم شعر السماوي بمزج النشاط الوطني بالنشاط الأدبي والثقافي، بحيث لم يتمكن من أخفاء عشقه الممنوع سياسياً في جغرافية الوطن وتأريخه، فقد شرب من مرارة الغربة والبعد عن الحبيب العراق حتى الثمالة، خمسين عاما في المنفى حتى سميّ بشيخ المنافي، وهو يقترب بآهات وآلام مما تعانيه الطبقات الكادحة والفقيرة، ولم يتخلى عنهم يوما، فوجدت ترجمتها في قصائده الوطنية في حب العراق وشعب العراق، وقف شامخا متحديا الدكتاتوريات الغاشمة التي توالت على رقبة المواطن المظلوم، فتارة تجده حادياً للقافلة، وأخرى عابراً للحدود ليتصافح مع جيفارا وهوشي منه، وتلك صفات الشاعر المتمرد على الواقع المرْ، وجدتُهُ يعلمنا الصبر والمطاولة في ديوانه " إلى الأمام أبداً "

ثانياً- أن الأنسنة تكاد تؤطر جميع قصائده، فهو نموذج أنساني للأنسان المثقف، وقد أصدر " جريدة الأنسانية " بعد ثورة ١٤تموز ١٩٥٨، وكتب بصوتٍ عالٍ متوّج بالعنفوان والكبرياء والتحدي أنا إنْ خسرتُ العمرَ لم أخسر خطاي --- حاصرتُ منتفضاً حصاري --- ليس من أحد سواي --- فأنا التوازن والتناقض والمصير، وتدافعت وطنيته وحبهُ للشعب الكردي أصبح من أبرز مناصري (القضية الكردية) ضد الطغيان العرقي البعثي الصدامي، لذا كتب في رثائه السيد جلال الطالباني : مُني شعبنا بخسارة فادحة بفقدان رمز من رموز النضال الوطني، وعلم من أعلام الثقافة العراقية، لم يكفْ صوتهُ الهادر وحتى كان حبيس السجون والمعتقلات، مدافعا عن الفقراء والمعدمين، وكان صوته الصارخ بأناشيد الحرية عابر للأسوار ممجداً للأنسان، تعازي الصادقة لأسرة الفقيد " كاظم السماوي " ومحبيه، وأعزي نفسي بفقدان صديق ورفيق درب وكفاح ---- جلال طلباني (رئيس جمهورية العراق).

ثالثا- ووجدتُ كاظم السماوي في (الوطنية الأممية) هوية وعنواناً في ملحمة الحرب والسلام، وقصائد للرصاص --- وقصائد للمطر، رياح هانوي، أضافة إلى كتابين الفجر الأحمر فوق هنغاريه والثاني حوار حول ماوسي تونك وبذلك وضع مقتربات جسور الثورية الأممية مع " جيفارا وهوشي منه " ووجدت بهذه الفضاءات الثورية أبدع حين كتب عنهُ

" محمد شراره " – شاعر وكاتب حيث قال : أرأيت الزوبعة كيف تنطلق؟ والعاصفة كيف تندفع ؟ أو البركان كيف يتنفس ؟والغابة كيف تشتعل ؟ فأذا كنت قد رأيت هذه العوالم فأمزجها معا وأضف بعضها على بعض تجد أمامك كاظم السماوي الذي يسكب روحه في (أغاني القافلة) ويذيب حياته في أحداثها، أنهُ شاعر القافلة التي تسير في طريق موحش تتواثب في قلبه الأشواك، وترى في (فضائله) أرواح الضحايا، ويختلط (بنيرانه) أرواح الشهداء .

رابعاً- الغربة في شعر كاظم السماوي، بالرغم من قوة هذا الجبل الذي يمشي على رجلين لم يتمكن من صد تيار الحنين لمدينته القاحلة بوابة أكبر سجن عراقي " نقرة السلمان" مكتوبٌ على بوابتها بيت العراقيين جميعا، وهذا مقتطف نقدي ومن أروع ما قرأت للناقد والأديب الكردي " د- نوزاد حمد عمر " في كتابه الغربة في شعر كاظم السماوي : لقد قام الشاعر بتوظيف الأسطورة والرمز والمفارقة والتناقض، وبهذا توصلتُ إلى الأنزياحات الدلالية في أسلوبه، وعند أطلاعي على نتاجات الشعراء المعاصرين له مثل الجواهري والبياتي والسياب وجدتُ (مقاربات أدبية أبداعية، وتقنيات السرد والموضوع وظفها الشاعر كاظم السماوي في دواوينه التسعة .

وقال فيه : الدكتور جورج حنا (الكاتب التقدمي المشهور): أن أشعار كاظم السماوي وبنظر الكثيرين "هو ما يجمع بين الغايتين : أي بين اللذة العقلية والشعور النفسي وبين الألهام الذهني والفكري بحيث لا يكون الشعر قالبا فنيا فحسب بل يمتزج المتلقي مع الأحداث روحاً وفكرا في أماله وألامه، فيدفع القاريء إلى الأنتقام والثأر من الجلاد، والأرتياح عند أستلهام الآمال والتطلعات لغد أفضل.

وأخيراً--- المنافي باتت قبور عمالقة شعراء وأدباء العراق من هادي العلوي إلى الجواهري والبياتي ومصطفى جمال الدين ---- وأليك يا أبا رياض تبقى المنافي سكن لقبورنا .

المجد والخلود لشاعر السماوة، وكذلك نستلهم من شاعرنا الكبير فضاءات وأبجديات الحرية الحمراء والديمقراطية النقية والعدالة الأجتماعية لنواصل المسير في طريق الألف ميل الذي سار فيه شاعرنا " كاظم السماوي.

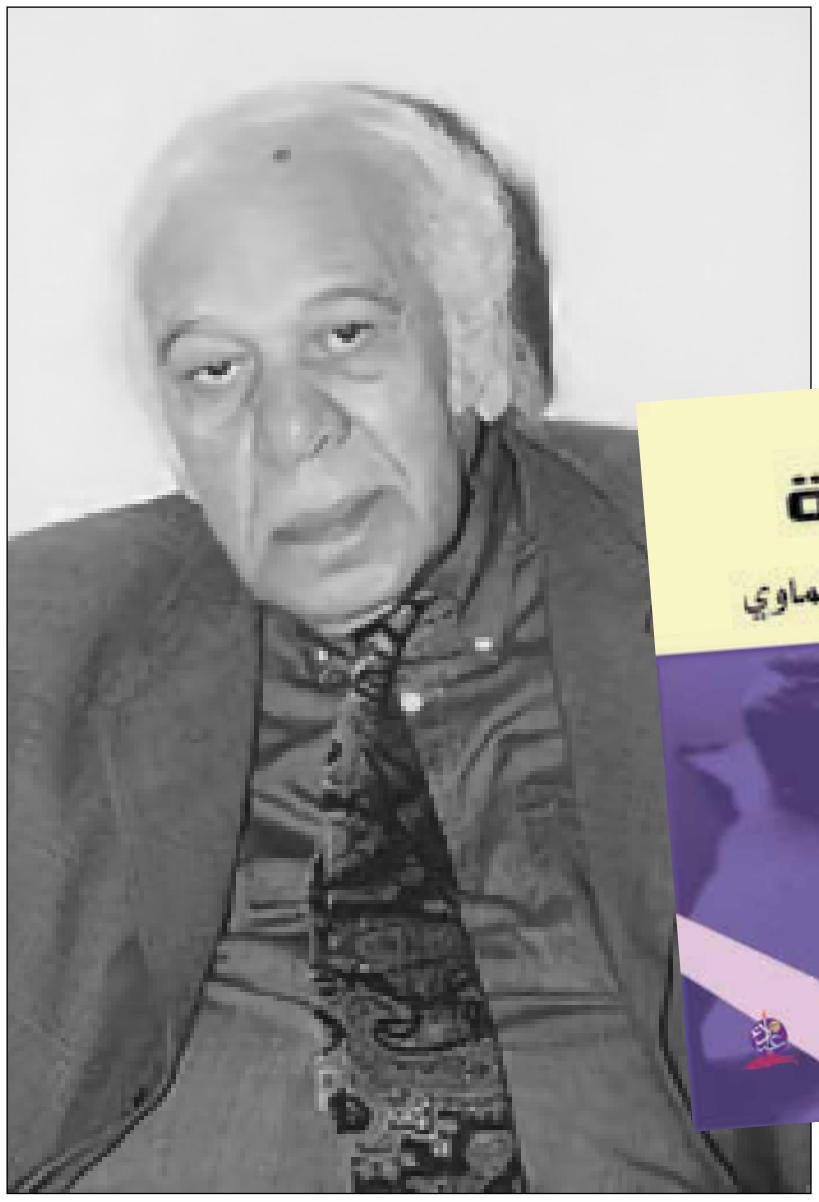

العراقيون
من زمن التوهج

في ذكرى شيخ المنافي كاظم السماوي

طالب عبد الأمير

مرت قبل ايام ذكرى رحيل "شيخ المنافي"، الشاعر العراقي كاظم السماوي. وهو وأن كان ليس الوحيد من مبدعي العراق الذين ارتحلوا في المنافي، بعيداً عن الوطن الذي نزفو حياتهم من اجله فناً ومعاناة والقائمة تطول، لكن السنوات الاخيرة من حياته، في منفاه الأخير كانت شديدة القسوة، اذ عاش في ستوكهولم وحيدا لا أنيس له سوى ذكريات مشحونة بالالم، بعدما فقد افراد عائلته الواحد تلو الآخر. فقد اغتال عملاء نظام صدام في سفارة العراق في الصين، ولده نصير العام ١٩٩١ حيث كان يدرس، وتوفيت زوجته قهرا على ولدها، وأُختطف ولده رياض في بغداد، بعد ان جاء اليها عائدا من دراسته في المانيا، وزج به في الحرب العراقية الايرانية، ثم توفى بعد سنوات لاحقة مصابا بالسرطان. وفي لندن، وقبل عام ونيف من رحيل الشاعر الابدي، توفيت ابنته الكاتبة والفنانة تحرير السماوي، بعد ان دفعت قسطها، هي الاخرى، من المنفى اكثر من اربعين عاماً قاسية ختم حياتها المرض الخبيث، وهي في ذروة عطائها الفني والادبي.

بعدها تُسدل ستارة العمر، في مغتربه الأخير، السويد، على اكثر من نصف قرن، هو زمن منفاه الطويل. هذا المنفى الذي مر خلاله قطار العمر بمحطات عديدة: من بودابست الى برلين الى بكين الى بيروت نقوسيا ودمشق، آخرها ستوكهولم، حيث توقف قلب الشاعر في يوم آذاري، من عام ٢٠١٠ بل في منتصف الشهر تماماً، والذي عادة ما تفوح صباحاته بروائح الربيع في بلادنا وتتفتح زهوره فيها، لكنه هنا على حواف الشمال الباردة، كان الصقيع يلف المدينة الغافية بين مياه الجزر الكثيرة المنتشرة هنا وهناك، رحل السماوي كاظم عن عمر ناهز التسعين عاماً. وصدقت نبوءة الشاعر، بأنه لن يعود الى الوطن الا بعد سنوات طوال قضاها في المنافي. وقد عاد، اخيراً الى الوطن، لكنه عاد اليه جسدا بارداً ليدفئه ثراه.

كنت التقيت الشاعر كاظم السماوي في اكثر من مناسبة، ولكنني حاورته، في الشعر والصحافة وفي مسيرته النضالية، الانسانية مرتين. في المرة الاخيرة كنا نجلس في الهواء الطلق على احدى مصاطب حديقة الملك وسط العاصمة ستوكهولم. كان ذلك يوما مشمساً، والمدينة تفرش أهدابها لاستقبال الصيف، وازعم، غير جازم، بأن ذلك اللقاء الصحفي كان الاخير الذي أجري معه قبل رحيله الابدي.

وكالعادة حينما يلتقي صحفي بأديب او فنان وقد عاش كلاهما المنفى، سنوات طوال، يطفح السؤال التقليدي المثقل بأحمال الزمن وتداعياته، عن المكان النقيض، او الضفة الأخرى الحاضرة، النائية عن ضفة الوطن، ليس بقياس المدى الزمني فحسب، بل وبالأحاسيس والمعاناة. وفيما بين الضفتين بحر شاسع ورحيل متواصل بين تموجاته وعصف رياحه العاتية.

– ماذا سلب منك المنفى وماذا أعطاك؟

– "المنفى مهنة شاقة"

هكذا بدأ السماوي اجابته، بعد صمت قصير، مستشهداً بقول الشاعر التركي ناظم حكمت ومسترسلاً في توضيح فكرة المنفى، الشفافة البسيطة والمركبة، الشديدة التعقيد في آن واحد، بأن:

– "المنفى هو اغتراب الانسان عن جذوره ومحيطه، وربما عن وشائجه الفكرية حتى. إذ أن الانتساب ليس فقط للأرض والوطن، بل وللفكر ايضاً. ولكون المنفى حالة اضطرارية، ينبغي على المنفي خارج حدود بلاده ان يحرص على التواصل مع محيطه، بكل الوسائل. عندما أُسقطت عني الجنسية في العام ١٩٥٤، تصورت بأنني سوف لن اعود الى وطني الا بعد عشرات السنين. خاصة وان السلطة التي قامت باسقاط جنسيتي، كانت تبدو راسخة في مكانها". قال السماوي.

على اثر اسقاط الجنسية عنه، بدأت حينها رحلة الشاعر والمناضل كاظم السماوي ليعيش في المنافي سنوات طوال، اكسبته، برغم معاناتها، معارف جديدة، على الصعيدين الفكري والنضالي، كما وصف ذلك، مشيراً الى أن البلدان التي عاش فيها، منحته رؤية جديدة وثقافة مكنته من الاطلاع على ما لم يطلع عليه في بلاده او مما لايجده في الكتب، حسب تعبيره، وهذا من اجل مقاومة المنفى وترويضه.

– "اكتسبتُ خبرة واسعة من خلال اطلاعي على حياة الكتاب والأدباء العالميين الكبار في الخارج، وكان قسم منهم منفياً وعاد الى بلاده، وهذه الخبرات منحتني معارف غير التي تسلحت بها وانا في الوطن".

تعرّف كاظم السماوي على زعماء وشخصيات عالمية، وادباء كبار، ذكر منهم اسم كيو موسو الذي كان رئيسا لاتحاد الكتاب الصينيين، والشاعر والمناضل التركي الشهير ناظم حكمت، وفي المؤتمرات العالمية التي شارك فيها التقى اسماء لامعة مثل الشاعر الفرنسي الكبير لوي اراغون وغيره. وعن علاقته بهذه الشخصيات، قال السماوي انها وسعت من افاق معرفته و نقلته الى آفاق اخرى، كانت تعتبر محدودة بالنسبة له في السابق. ومنحته ايضا، امكانية الاطلاع على ثقافات لم تكن لها جذور في العراق.

– "مثلا، عندما خرجت من الوطن، لأول مرة في خمسينات القرن الماضي، اطلعت على الاوبرا، هذا الفن الراقي الذي لم يكن معروفا في بلدي، ولا حتى في البلدان العربية الاخرى حينئذ، وتعرفت على الحركات المسرحية التي لم نكن نعرفها سوى على نطاق ضيق. وكذلك حضرت حفلات سيمفونية راقية كثيرة". قال السماوي.

كان كاظم السماوي من الناشطين في حركة السلم العالمي، وقد اسهم في تأسيس حركة السلام في العراق عام ١٩٥٢ التي مثلها في مؤتمرات دولية عديدة. وبعدما سحبت منه الجنسية العراقية، وكان حينها في بيروت، تمكن من السفر الى المجر، بمساعدة من حكومتها التي منحته الاقامة ليعش في بودابست عدة سنوات:

– "وبعد ان تعلمت لغتها اصبحت عضوا في اتحاد الكتاب المجريين. وكنت اكتب قصائد وما اكتبه كان يترجم الى المجرية، ثم تُرجمت قصائد من ديوان كتبته في العام ١٩٥٠ الى المجرية، وصدرت في كتاب العام ١٩٥٦ من قبل احدى دور النشر في المجر.

بعد انتصار ثورة ١٤ تموز العام ١٩٥٨ عاد السماوي الى العراق، وأعيدت له الجنسية وفي العام ١٩٥٩ عين مديراً للاذاعة والتلفزيون في الجمهورية الفتية، لكنه وبعد ثلاث من سنوات من عمله في الوظيفة استقال منها، محتجا على بعض الممارسات التي كان يرى فيها تعارضا مع اهداف الثورة، حتى انه سجن لعدة اشهر، لكنه ظل وفيا لمبادئ الثورة وزعيمها عبد الكريم قاسم، حيث طلب منه ان يكون سفيراً في المجر، غير انه رفض المنصب، مفضلا البقاء في العراق وعمله في اصدار جريدته "الانسانية".

بعد انقلاب ٨ شباط المشؤوم عام ١٩٦٣ ومجئ البعثيين الى سدة الحكم، تم اعتقاله مجدداً. وبعد اطلاق سراحه غادر السماوي العراق العام ١٩٦٤، وكانت وجهته هذه المرة المانيا الديمقراطية، وهي الثانية في قطار المنفى، ولم يعد الى الوطن حتى العام ١٩٧٣ على اثر اعلان الجبهة الوطنية الديمقراطية بين حزب البعث الحاكم آنذاك والحزب الشيوعي. لكن مكوثه في الوطن لم يدم طويلا، كما هو عمر الجبهة، حيث بدء البعثيون بحملة دموية شرسة ضد حلفائهم، من قوى اليسار والديمقراطية، فرحل الى الصين ومنها الى المنافي الاخرى، حتى رحيله الابدي في ستوكهولم ٢٠١٠.

كان السماوي كاظم، شاعرا كبيراً في مقدرته البلاغية واتقان ادواته الشعرية ومضامين قصائده الانسانية. شاعراً التزم قضايا الانسان وتحرره بإصرار عنيد.

هل تغيرت وظيفة الشعر لدى كاظم السماوي؟

– "الشعر الذي اكتبه تثويري، اذ كنت متاثراً بحركات التحرر التي اجتاحت مناطق كثيرة في العالم، حيث القت انتفاضات الشعوب من اجل التحرر على الشعر مهمة اخرى، وهي التثوير او الشعر الثوري المناصر للافكار التحررية. انا من هذه المدرسة، منذ ان اصدرت ديواني الاول في العام ١٩٥٠ واسميته (اغاني القافلة) وحتى ديواني الاخير، لم يتغير نهجي الشعري. فلم تكن تشغلني الاحداث الذاتية، بل كانت ومازالت نزعتي هي الحرية. فالشعر الغزلي وشعر الحب، يأتي بعد ان يتحرر الانسان من الذل والعبودية. فطالما الانسان مستعبد وغير حر، لم يستسغ طعم الغزل او حتى الالتفات الى الافكار الذاتية".

قال السماوي مسترسلا بالحديث، من انه لاينتمي الى اي مدرسة شعرية من تلك المدارس السائدة التي تمثل بها بعض مجايليه من الشعراء وغيرهم ممن تأثروا بالمدارس الغربية، كالسريالية، مثلا:

– "شعري يمتاز بالوضوح والتعبير عن ارادة الجماهير. وهذا يشمل جميع دواويني. فأنا اطالب، على الدوام، بان يكون الشاعر او الفنان واضحا في نتاجاته ازاء المتلقي".

كان السماوي قد اصدر مجموعات شعرية عديدة، جُمعت في كتاب "المجموعة الكاملة" التي صدرت العام، وهي الى جانب "اغاني القافلة" في العام ١٩٥٠، "ملحمة الحرب والسلم، "الى الامام أبدا"، "فصول الريح، "رحيل الغريب"، قصائد للرصاص قصائد للمطر"، "رياح هانوي" و" الى اللقاء في منفى آخر"، التي صدرت في العام ١٩٩٣

وضوح قصائده وانسنتها امر يتفق عليه المتابعون لشعر السماوي مؤكدين بأن جل قصائده وهبها للانسانية ولغدها المشرق، حيث اطلق عليه الشاعر اللبناني محمد شرارة لقب "شاعر الانسانية".

وبرغم ان هناك من لا تتوافق أفكاره الايديووجية وآراؤه السياسية معه، او بعض مواقفه في سياق أو آخر، الا ان ثمة شبه اجماع على ان السماوي، الانسان الذي توحد في داخله الشاعر، بما يملكه من قدرة التعبير عن مكنونات الاحساس بفيض من العاطفة الجياشة، والمناضل الاممي الذي وهب شعره وحياته من اجل الانسان وعزته وكرامته، في كل مكان في العالم، فتحمل جراء ذلك السجون والمعتقلات والتشرد والمنافي، وفقدان الاحبة، يعد من الشخصيات التي غبن حقها في الحصول على المكانة التي تستحقها، على الاقل، في مدونة الذاكرة الأدبية والنضالية العراقية.

لكنه ما كان يأبه من انه ظل بعيدا عن الاضواء وهو في قمة عطاءه الشعري، ذلك لأنه كما قال بأنه ليس شاعراً ذاتيا كي يسعى للشهرة:

– "ان جل طموحي هو ان اعبرفقط عن آمال الشعب".

ولكنه برغم ذلك كان شاعراً معروفاً خارج وطنه، في دول عربية، وفي بلدان اخرى حيث تُرجم بعض دواوينه وقصائده الى لغات كالمجرية والروسية والبلغارية والانجليزية.

كان السماوي وبخلاف النظرة التي ترى علاقة السياسي بالمثقف، غير متوازنة، وكثيرا ما يشوبها التوجس مما يحاول السياسي الاستحواذ على المثقف وتسخيره لأهدافه السياسية، كان هو يرى عكس ذلك، فأن ما بينهما ترابط عضوي.

– "هناك من يسعى في هذه المرحلة الى الفصل بين المثقف والسياسي. لو اردنا تعريف السياسة ماهي؟ السياسة تسعى الى الحرية، الى الابداع، الى الطموح الانساني. وانا ارى ان السياسة والفكر متلازمان. واذا الفكر لم يعبّر عن طموح انساني، او سياسي، كما يصفه الاخرون، فهذا يعتبر فكراً مهوماً، ذاتيا ومتقوقعاً. السياسة تعني الانسان، في ثقافته وتحرره، وحريته ونزوعه الفكري والحضاري. بالنسبة لي ليس هناك فكر بعيد عن السياسة او سياسة بعيدة عن الفكر. ليس هنالك تجريد بين المعنيين.

لنكرم كاظم السماوي

زهير كاظم عبود

علم بارز من أعلام الثقافة العراقية، ومناضل عراقي صلب خبر السجون والمعتقلات، وأسم خط حروفه فوق مساحة العراق البهي، وشاعر حفظنا أشعاره وتابعنا نتاجه الذي خص به الشعب. صار حفنة ماء في أهوار الجنوب، وحمامة وديعة فوق قباب الذهب في النجف وكربلاء والكاظمية، وعثقاً من رطب السماوة، وحداء في بادية العراق، وسنديانة صلبة في جبل بيره مكرون.

جسد العراقي الهوى والروح كاظم السماوي الزمن العراقي الذي وظف له كل روحه وجسده وشاعريته التي حولتنا الى جزء من قصائدة النابعة من ضمير العراق.

كاظم السماوي الذي أعطى للعراق كل مايملك ولم يهادن ولم يبع ضميره وبقي شامخاً شموخ النخيل، وبقي ذلك الصوت الفراتي الأصيل الذي يغني للفقراء ويحلم بالغد الملون والممتلىء بضحكات الأطفال.

كاظم السماوي الذي تبعثرت روحه وهمومه وزادها هماً إن استطاعت السلطة الصدامية السافلة والخاسئة أن تنال من نياط قلبه فتقطع وتراً حساساً، حين استطاعت اغتيال ولده الشهيد نصير السماوي في بكين. ورغم هول الفجيعة لم يستكن ولم تهدأ روحه في محاربة الظلم والشوفينية ومكروبات البعث الصدامي بالرغم من اغترابه وشيخوخته التي ننحني لها أجلالاً، حيث بقي كاظم السماوي على العهد مستمراً في نضاله بالقلم والشعر والكلمة. وحين يريد الحزن أن يداهم روحه يستقوي عليه بالعراق، وحين يريد النظام الساقط ان يجعله محني الظهر وصامت، ينشد للعراق واقفاً بشموخ النخل منشداً للعراق.

يرسل مرثيته للحبيب رياض فيقول :

لمَ والخريف تناثرت أوراقه الصفراء... ترحك يا رياض
وَلن تعود..وترى هو الفصل الأخير؟.
وكم سئمت العمر يرزحُ بالشدائد أطفئت ومضاتها السوداء
كم عانيت والأيام تنزف وهجها
وتظل شاحبةً يضيق بها المدى
تأت الديار ولا صدى
لك يا غريب الدار...أضناك الرحيل
ويا المسجى تغرب الأيام لاهثةً وتنأى الذكريات
وأنت وحدك-يا لوحدكَ- وتغمض العينين يا ولدي الحبيب- ولا أراك
وتسدل الأستار والأحلام، والأمل الكبير
أنا يا رياض وكنتَ لي نسغ الحياة
وكنت دفءَ الصمت
يا حلو الشمائل بالأصيل
وكنت ما شهدَ الرواة وما يشيد الآخرون
أنا من جنيت عليك يا ولدي..وكنا في فجاج الأرض تلطمنا الرياح
وكنت ظلي يا كلانا في عناء للرحيل... من الرحيل
وكم توسدنا الردى وقبور ٍموتانا وراء رحلينا...

يلملم جراحه ويقف بصمت الشامخين مترقباً سقوط الصنم يهتف للعراق فقد صار حلمه الأزلي أن يبقى حتى يشهد سقوط الطاغية، ليحقق حلمه الصغير في نهاية الطغاة.

ويعود ليفقد العزيز الآخر نصير الذي يلحق بالفقيد الأول فيقول في كبرياء الصامد العنيد الذي لم يزل يريد ان يجسد المباديء والقيم التي تعلمها وتربى عليها وآمن بها :

وما ارتجفت خطانا... نطرق الأبواب... يا الوطن العتيق
ولم تزل غجرَ الطريق
ونحن ما زعم الرواة سلالةُ الشعب العريق!
يا أمسنا... يا يومنا أزرت بنا الأوهام والأصنام آلهةً
وأسياداً... ونحن عبيدهم!
نُخصى ونركل للسياط وللهوان
ولم نكن نتمثل الإنسان في شرع الطغاة
دار الزمان ولم تزل... كنا وما زلنا
عبيداً للطغاة

وهاهو كاظم السماوي باق على العهد يرثي وروده التي ذبلت قبله نصير ورياض، كاظم السماوي الأسم البهي الوطني الذي لم يجد غير أن يرثي رياض ونصير بعد أن يجثو على قبريهما

ويقبل الصمت الحزين فيقول عن حزنه الشخصي : "خلال خمسين عاماً في المنافي.. وفي بكين –الصين- أغتال القتلة في السفارة العراقية العام ١٩٩٣ ولدي (نصير) وكان طالباً في جامعة بكين ودفن في دمشق، وتوفيت والدته متأثرة برحيل ولدها نصير ودفنت في دمشق. عاد ولدي (رياض) وكان يدرس في ألمانيا إلى العراق في زيارة للعائلة قبل الحرب العدوانية ضد الشعب الإيراني، واختطف من الشارع مع جمهرة من الشباب وزج في معسكر التاجي، ثم دفع به لساحة الحرب..خلال ثمانية أعوام.. وعاد يحمل درء السرطان من الغازات الكيماوية خلال المعارك. رحل إلى إيران للمعالجة..ووافته المنية في مدينة ماروان- الإيرانية- في ٢٠٠٤/١٠/١٥ ودفن في السليمانية.

وكل ما تبقى للشاعر همهً وسهاده ومأساته الجارحة ثم ينشد لوردتيه الذابلتين وهو جاث على قبريهما رغم بعد المسافة التي تفصل المكان والتي لم تستطع ان تباعد الروح

ويا نصير ويا رياض
ذويتما ورحلتما يا الزهرتان
ويا الردى... جنَّ الردى
شردتما عمراً وقبراً
قبرٌ توحد في الشام
وأخر في جيرة الجبل الأشم!
وها أنا ملقى وراء القطب منكسراً
ويأسرني الحنين إليكما
أجثو على قبريكما
وأقبل الصمت الحزين

كاظم السماوي الذي رحل عن عالمنا لم تزل أشعاره وكتاباته راسخة في ضمائر الشرفاء والمناضلين من اهل العراق، وكاظم السماوي الباقي على العهد لم يزل المناضل الصلب الملتحف بأفكار الفقراء والخبز والغد السعيد، وكاظم السماوي اليوم مايستوجب أن نلتفت له لتكريمه وأن نضع أسمه البهي فوق رؤوسنا، وأن نجعل أطفالنا تتعرف على شاعر عراقي أفنى عمره وشبابه من اجل العراق أسمه كاظم السماوي لم يزل يصارع شيخوخته وغربته في شمال العاصمة السويدية، لنتذكر كاظم السماوي بكل التوقير والمهابة والأعتزاز بسم العراق الذي كان يحلم به.

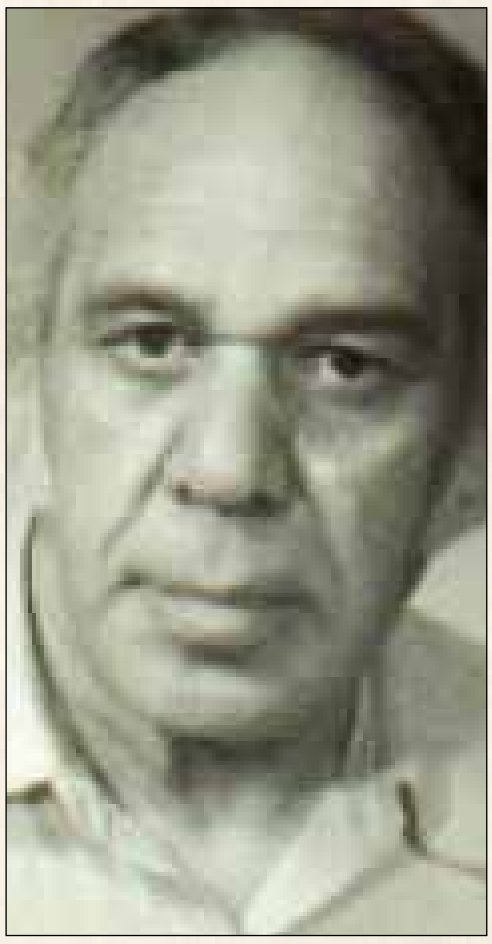

ليل الغرباء

إلى روح شيخ المنافي وشاعر الإنسانية كاظم السماوي

أوس حسن

يا نورساً جارت
عليه طيور الظلام
ظلالك الحمراء شمسٌ
يحيا بها البلدُ
يا قديساً ضاعت
مشيئته في خديعة الأيام
والأيامُ خطيئة
الراكعين ومَن سجدوا
في رحيلك ...
لأُفرغنّ الدموع من ملحها
وأنثرها جمراً
على ثرى الأحلام
لأَشربَنّ بكاء الناي من بعدك
بحةً....بحةً
فيصلي لك الموجُ وهو متئدُ

× × ×

يا ليلَ الغرباءِ
بارك مشيئتنا
إن البحرَ غايتُنا ...إ
إن البحر رايتُنا
والبحر سماءٌ لمن به كمدُ
أطلق صهيل الشمس لا تيأس
إن الصبح غايتنا ....إ
إن الصبح رايتنا
والصبح أغنية الحالمين إذ وعدوا
يا ليل الغرباء دمعك الأسود
لا يكفي لثورتنا
افتح نوافذ
الغيم واحملنا
نحن أساطير الريح
نحن السائرون
إلى وهجك الجريح
صرخة القادمين ومنَ وُلدوا
ياليل الغرباء
بارك مشيئتنا.....

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (4819)
السنة الثامنة عشرة
الخميس (26)
تشرين الثاني 2020

كاظم السماوي في ذكراه

كريم السماوي

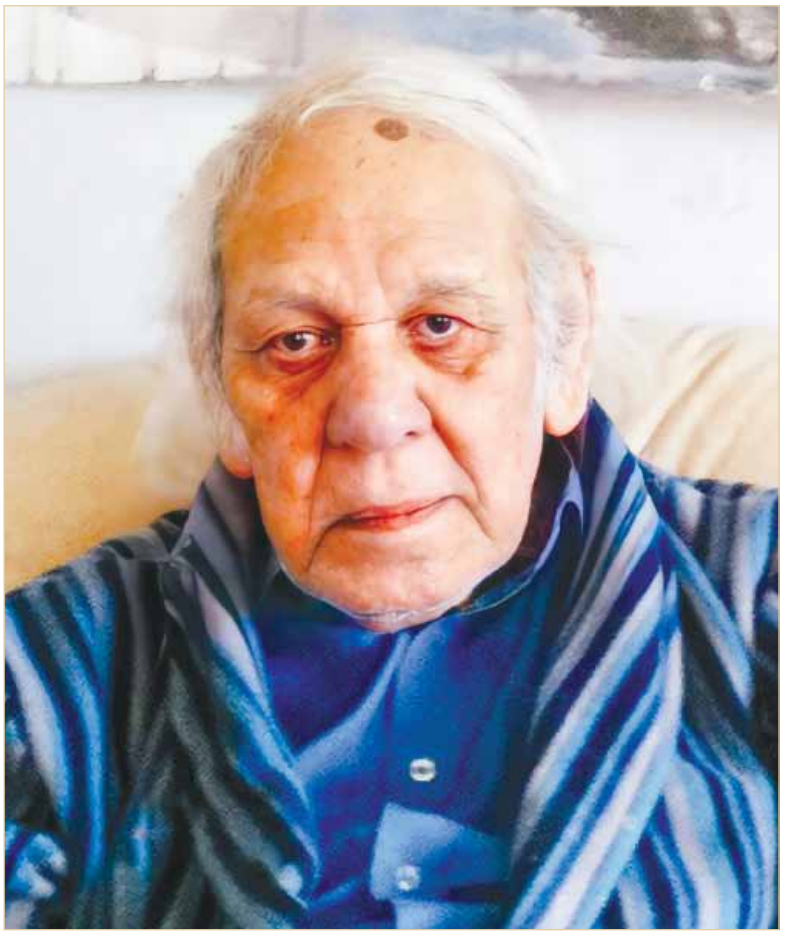

بين سنة ١٩٢٠ وسنة ٢٠١٠ تسعون عاما، هي الفترة بين ولادة الشاعر الراحل كاظم السماوي ووفاته، قضى أكثر من نصفها في المنافي حتى لُقّب بشيخ المنافي، وحتى أنه مات غريبا في ١٥ مارس سنة ٢٠١٠ في منفاه الأخير في ستوكهولم عاصمة السويد، حيث قضى العقد الأخير من حياته في شقة من غرفة وصالة ومنافعها بمنطقة خارلهولمن، ويقوم على خدمته ما يُعرف في السويد " خدمة المساكن " يؤديها موظفون مدربون لهذه الأعمال ويمرون على كبار السن والمرضى ثلاث مرات يوميا لتنظيف المساكن أو الطبخ أو شراء احتياجاتهم، والمرضى وكبار السن يزودون بساعة انذار عند الضغط عليها تدق في أقرب مستشفى للطوارئ. والحقيقة التي اطلع عليها كاتب هذه السطور ومن معايشته لواقع السويد فإن البلد من أفضل الدول في خدمات كبار السن والأطفال معا، ولهذا لم يكن الشاعر يعاني من مشكلة شخصية أو خدمية، غير أنه كان يشكو من الوحدة ومجافاة الأصدقاء له، حتى أنه كثيرا ما كان يردد بأنه يعيش بين أربعة جدران إذا أضفت أنا لها نصبح خمسة جدران. في تلك الشقة كان يعيش أياما وأسابيع بل أشهرا من فصل الشتاء البارد والمثلج لا يغادرها أبدا، يزوره خلالها مَنْ يُعرفون بخدمة المساكن وعدد قليل من الأصدقاء يمكن عدهم على أصابع اليد الواحدة.

أصدر الشاعر الراحل كاظم السماوي ديوانه الأول " أغاني القافلة " سنة ١٩٥٠ ثم توالت دواوينه الأخرى كالتالي:

ملحمة " الحرب والسلم " سنة ١٩٥٣
إلى الأمام أبدا سنة ١٩٥٤
رياح هانوي سنة ١٩٧٣
إلى اللقاء في منفى آخر سنة ١٩٨٠
قصائد للرصاص قصائد للمطر سنة ١٩٨٤
فصول الريح ورحيل الغريب سنة ١٩٩٣

وقد جمع الأعمال الشعرية ١٩٥٠.١٩٩٣ كاملة في كتاب نشره سنة ١٩٩٤ عن دار الرازي والنشر والتوزيع في لبنان. وكانت آخر قصائده في رثاء ابنته تحرير وهو على عتبة التسعين من عمره.

كان اكتشاف الشاعر الراحل كاظم السماوي لموهبته الشعرية مبكرا، وفي حديث خاص له مع كاتب هذه السطور قال: " كنتُ متأثرا بما أسمعه تحت المنبر الحسيني من شعر، ومن هنا حاولت محاكاة ذلك الشعر. "

ففي بيت العائلة القديم والذي يضم بيتين وبرانيا حيث خصص الأخير لإقامة الشعائر الحسينية مرتين في الأسبوع، هناك كانت بداية الشاعر الراحل كاظم السماوي مع التجربة الأولى للشعر، وهناك تعرف على شخصية أبي الأحرار الحسين ورأى فيه الشخصية الثائرة على الظلم فظلت معه طوال حياته رمزا وعنوانا للثائرين يستلهم منها الثورة ضد الظلم حتى أنه ناصر الثورات العظيمة في التاريخ، كتب عنها شعرا ونثرا، ومن ذلك البراني ظلت معه طويلا صورة الشيخ عبد الله بلحيته البيضاء ووجهه البدري المتوج بعمامة بيضاء كلحيته تزيده بهاءً ووقارا، يصدح بصوته الجهوري، المعبّر، يعيد ويكرر من على منبره فاجعة أهل البيت، الفاجعة الكبرى باستشهاد الأمام الحسين عليه السلام، مرتين في كل اسبوع في " براني " جده، ويتابع كيف تنحني رؤوس الرجال، قبل أن يجهشوا في بكاء مر يقطّع القلوب، الرجال الذين لا تنهمر دموعهم غزيرة إلا على فاجعة أهل البيت وهم يتذاكرون حديث المصطفى: " إنّ لمقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا. " هناك تعرّف الراحل كاظم السماوي على الحسين، الثائر الأول الذي استمد منه روح الثورة، قبل أن تتكشف له الوقائع من أوسع أبوابها، فعرف الحق وناصره، وعرف الباطل وخاصمه. وحين قرأ قول غاندي: " تعلمتُ من الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر " ترسختْ في أعماقه مناصرة المظلومين، وما وجوده في منفاه الأخير إلا لأنه قال كلمة الحق بوجه الظلمة خالصة لا شائبة تشوبها من أجل العراق ومستقبل العراق وأبناء العراق. ولأنه لا يهادن كعنوان أحد دواوينه وهو يردد كلمات الحسين التي قالها في كربلاء والتي أسمعها الدنيا كلها من واقعة الطف: " هيهات منا الذلة. "

وفي ذلك أنشد شعرا مرة يقول:

سلمتَ يا عراقْ
يا أولَ الآياتِ ، والحقيقة الأولى،
وسر الله والتكوين ، والمَاثرَ العتاقْ
يا عطشَ الصُبّار في الشاطئينْ
لمّا تزلْ عطشى دماءُ الحسينْ
ويا دما يجأرُ حتى الأنينْ
مُستصرخا.. سلمتَ يا عراقْ
فداكَ يا عراقْ
ويا عراقَ الصمتِ والجراحِ والسكونْ
ويومَنا المذبوحَ في الشفاهِ.. في العيونْ
يا التترُ الأبعدونْ
يا التترُ الأقربونْ
لتقتلوا الأطفالَ والنخيلَ والأنهارْ
لتحرقوا.. التاريخَ والأسفارَ والأشعارْ
لتطفئوا النَهارْ
لكنكم.. لن تقتلوا العراقْ

ومن هنا يمكننا القول أنه ناصر كل الثورات المتطلعة للحرية والعدالة كالثورة الجزائرية وثورة العشرين وثورة ١٤ تموز والثورة الفيتنامية والفلسطينية والكوبية والصينية وغيرها من الثورات ومدح رموز الثورات المتمثلة في شخوصها أمثال جعفر أبو التمن والرصافي وحسن سريع وناظم حكمت وعبد الخالق محجوب وكاسترو وجيفارا وعلي فودة وعبد الرزاق الشيخ علي ونسيب المتني وماوتسي تونج وغيرهم كثير وحتى أول الثائرين الأحرار أبا ذر الغفاري.وكما أنشد يشيد بالثورات ورموزها كتب عن الأماكن التي عاش بها وأحبها، مدنا وبلدانا، معارك وأنهارا وهي كثيرة، كان من أهمها وأميزها عنده لبنان.

ومن ديوان الشاعر الراحل كاظم السماوي نختارجزءا من قصيدة من ديوانه " أغاني القافلة " المنشور سنة ١٩٥٠ والذي قدم له الكاتب محمد شرارة، تتحدث عن لبنان، وكأنه يكتبها اليوم وبعد أكثر من ستين سنة، فها هو لبنان كما كان يعاني ويتعرض للاستغلال والاحتلال وتغتصب أرضه ومياهه، فالقصيدة ناطقة بما فيها، وحسبها ذلك:

لبنان ما تركت فتونك للرؤى أفقا يُهيب بسحره لبنانا
وهُنا هُنا قف في "زُحيلة" خاشعا لا توقظ الأشباح والأزمانا
فهنا تسمرت الظلالُ وهمهمتْ سحرا يهزُ الصخر والإنسانا
وأجل بطرفكَ حيث شئت فهذه سكرى تطارحُ في الهوى سكرانا
وتمايلت أعطاف تلك وأسبلت .من فرط عبّ كؤوسها . الأجفانا
لبنانَ لولا أن تحوطك عصبة تتجاذب " الأشياخ " و " الرهبانا"
لزهت بك الجنباتُ عابقة الشذى سكرى، وأمرعت الدروب جنانا
هَمُ الزعامة فيكَ علةُ مدَّعٍ تتذرعَ الانجيل والقرآنا
في كل شبر يستبيحك عاقف للشاربَين تزعم القطعانا
والشعب!ما للشعب ضلَّ طريقه أيظلُ مرتعشَ الجناح مهانا ؟
وعلى الحدود من استباح حدودكم وغدا سيلحق إثره " الليطانا"(١)
والقائمون القاعدون همو همو يتناوبون ببيعنا وشرانا
فمتى تُصان كرامةُ مهدورةٌ هانتْ على الشعب الجريح فهانا
لبنان ما جدوى العتاب ولم تزل أيدي جناتك تجتوي " بغدانا "(٢)
ما في سجونكَ في ظَلام سجونها تتعمد الأحرار والعبدانا
إن فاتنا مجد الشعوب ونصرها فغدا سيدركُ شأوها " شعبانا "

ماذا يمكن أن يقال بحق قصيدة مثل هذه تنطق بوضوح بما فيها وعن مشاعر الشاعر التي أغرقها في القصيدة، ومدى محبته للبنان وخوفه عليه وهو الذي تجول في مدنه وقراه، جباله وسهوله، وأكل من ثماره وشرب من مياهه، وأحب كل شبر فيه، فهذه قصيدة تشرح نفسها بنفسها ونحن هنا لا يسعنا إلا أن نقول: "أحسنت وتنبأت فأصبت، وها هو مجد الشعوب ونصرها قد أدرك شأوها شعبانا!!.. "

كتب الراحل كاظم السماوي القصيدة الحرة كما كتب القصيدة التقليدية " الكلاسيكية " وتطرقنا إلى نماذج من شعره، وكما كان الراحل كاظم السماوي شاعرا فقد كان خطيبا وكاتبا، وقلة هم الذين يعرفون هاتين الحقيقتين. ففي مؤتمر السلم العالمي في بكين سنة ١٩٥٢ وبناءا على نصيحة من الشاعر التركي المعروف ناظم حكمت من ضرورة توحيد الخطاب العربي للوفود العربية أختير كاظم السماوي لإلقاء الخطاب الموحد نظرا لشخصيته وقدرته على الإلقاء المدوي. ومن تجربته وتجواله في الصين كتب كتابا عن الصين وفي مؤتمر السلم العالمي التالي في هنغاريا كتب كتابا آخر عن هنغاريا. الكتاب الأول عن الصين ضاع وهو في طريقه إلى الطبع، أما كتابه الثاني عن هنغاريا فقد شاهد النور سنة ١٩٥٤عن دار الحياة البيروتية تحت مسمى " الفجر الأحمر فوق هنغاريا " واستطاع شاعرنا من خلال هذا الكتاب أن يبني جسرا متينا من العلاقات مع هنغاريا حتى أن السفير الهنغاري في لبنان بادر وتبنى تأمين مأوى آمنا للشاعر بمجرد سماعه نبأ اسقاط الجنسية العراقية عنه. كتاب " الفجر الأحمر فوق هنغاريا " الذي طبع منه ثلاثة آلاف نسخة جاء في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط ويبدأ بالإهداءإلى جماهير الطبقات العاملة ثم ينتقل الشاعر للحديث عن رحلته في أنحاء هنغاريا مع الكاتب الإيراني المعروف بزرك علوي. كتب شاعرنا في ذلك الكتاب يقول:

إن أول كلمة يكتبها أطفال هنغاريا في مدارسهم هي كلمة " بيكه " وتعني " السلم ".. وعشرات الأغنيات السلمية ترددها اليوم حناجر الجماهير في كل جهات هنغاريا.

إن أنهار صحفها تغمرها عشرات القصائد والشعارات السلمية

إن أعمال الفنانين تزدهي بصور وتماثيل وموسيقا السلم

إن حصاد الحقول اليوم هو حصاد السلم

إن أرض هنغاريا اليوم أرض السلم

إن كلمة السلم اليوم مرادفة إلى كلمة هنغاريا، إنها بحاجة إلى السلم أبدا، بعد أن ارتوت وغصت أرضها بالدماء والدموع أجيالا طوالا..

تحدث الراحل كاظم السماوي في كتابه عن بودابست ومعاناتها زمن الاحتلال،كما تحدث عن تمثال الحرية فيها، كما تحدث عن سهول هنغاريا،والنهضة الزراعية والصناعية ودور

الطبقات العاملة فيها، كما تحدث عن المعامل والمناجم والتطور العمراني والتوجهات الثقافية الجديدة. وكذلك عن شخصيات هنغارية قابلها وتحاور معها، أمثال النحات باتسو إيبال مصمم تمثال الحرية في بودابست. والكاتب فرش بيتر الذي قضى حياته الأولى فلاحا، والبروفيسور المستشرق عبد الكريم جرمانوس،حتى أنه كتب عن شاعر هنغاريا المحبوب الكسندر بتوفي الذي كان يحلم بأن يرى هنغاريا متحررة. كما زود كتابه ذاك بالصور الناطقة مما يجعله كتابا متميزا من كتب أدب الرحلات.

ومن أطرف ما ذكره الشاعر الراحل كاظم السماوي لكاتب هذه السطور حول كتابه " الفجر الأحمر فوق هنغاريا " الذي يمتلك منه نسخة يتيمه، قال: " جاءني أحد الأصدقاء وقال لي وجدت كتابك. الفجر الأحمر فوق هنغاريا. في مكتبة اتحاد الأدباء الهنغاري فهل تريد أن أسرقه لك؟ " يقول وبعد أن ضحكت وأبديت استغرابي من هذا الطرح قلت لمحدثي: " لا، أرجوك.. خليه هناك فهو أحفظ له. "

كما كتب الراحل كاظم السماوي كتابا بعنوان " حوار حول ماوتسي تونغ " نشر في قبرص سنة ١٩٩٠، فإذا أضفنا لكل هذا وذاك تجربة الراحل كاظم السماوي في إصدار جريدته التي أسماها " الإنسانية " وما كتبه فيها من مقالات تبين لنا موهبته في النثر والكتابة إلى جانب موهبته الشعرية.

تُرجم شعر الراحل كاظم السماوي إلى عدة لغات منها الروسية والهنغارية والبلغارية والإنجليزية والصينية، ووقفت عدة رسائل جامعية حول شعره، وأشاد بشعره الكثير من الأدباء والكتاب والشعراء، كما تطرق كثيرون إلى إنسانيته. وكان حلمه في أخريات حياته أن يلملم أوراقه ويتحدث عن حياته منذ طفولته، مرورا بتجربته الشعرية، وجمع أكثر من ثلاثين بحثا حوله كتبها عدة باحثين وكتاب، وكتب هو عن حياته ما يوازي ذلك، أراد من كل هذا وذاك أن يصدر كتابه الأخير، وقد ساهم كاتب هذه السطور في جمع وتنسيق وطباعة بعض تلك الأوراق، كما ساهم في سعي مواز لكتابة مذكرات الشاعر وسار شوطا طويلا في ذلك مستخدما جهاز تسجيل بصوت الشاعر غير أن عجالة الموت حالت دون إكمال البحث الذي أنجز أكثر من نصفه تسجيلا وكتابة. ومما كتبه الشاعر ممهدا لكتابه عن طفولته وحياته:

خمسون عاما من الرحيل، نهاراتها ولياليها المؤرقة بين الموانئ والمطارات وشوارع المدن البعيدة في نهاية الأرض، تحت قباب معابدها القديمة المهومة في أساطيرها المعتقة.

وما زالت قدماي تجوس تلك الدروب القصية وعيناي تجولان وراء الدارات والمعابد والأسوار وفي مسمعيّ يتناهى لهاث المكدودين المتعبة في جنبات الأرض.

خمسون عاما تناثرت نهاراتها ولياليها وكم شط بي المسار، ونأت بي المسافات، عبر الشرق العتيق والغرب الجديد، عبر أغوارها المترامية.

كان التطواف قدري بين حنايا " الفاتيكان " و " الجامع الاموي " و " باحات الحجر الأسود " و " كنيسة نوتردام " و " أديرة البوذيين " و " معابد السيخ الهندية " وما زال بخور الآلهة يطرد شياطينها والحبيب يذوب في المحبوب .

سرت فوق جدار الصين وتراءت أمام عينيّ الصحارى الصفراء المنغولية وتراءت بين هبواتها لمع الحراب وخيولهم القصيرة القوائم الراكضة شرقا وغربا... بين ردهات " الرايخستاغ " وقاعات " الكرملين " يقف التاريخ في شقيه المتوهج الوضيء والمنطفئ المظلم.

وفي شُرفة " ماري انطوانيت " في قصر " فرساي " وقفتُ هناك وتناهيى إليّ صراخ الجياع إلى الخبز. وكان الخبز يومذاك ملح السياسة وأبجدية الفلسفة الثورية.

بين أطلال بابل وصمت الأهرامات في الصحارى منذ الزمن العتيق ولم يكن هناك سواي في الصمت المطبق وفوق ذرات التراب السمراء.

بين كنائس الغرب والشرق وجدت " المسيح العاري " ويداه مسمرتان وحواريو اليوم يعتمرون التيجان ويرفلون بالخز والدمقس والاستبرق ويمسك كبيرهم في الصولجان.

على ضفاف نهر " الكنج " دخلتُ مقبرة الموتى وحرق الجثث على لهيب خشب الصندل لجثث الأغنياء والخشب الرخيص للفقراء. وكان الموت حتى الموت طبقيا.

في بكين يرقد ماوتسي تونج وفي موسكو يرقد لينين، في أضرحتهم أولئك القادة العظام في أقبية نصف مضاءة تحت الحراسة الشاكية السلاح كما هم في حياتهم.

في البقيع وجدتُ القبور الدوارس لا تعلوها الشواهد لتدل عليهم، وهناك رجال يرقدون ولما تزل أصدائهم يرددها الزمان،.هامات شامخة أطلت على الدنيا صنعوا التاريخ ولم يصنعهم.

أمس شددت يد " ماوتسي تونج " و " شون لاي " و " جوتا " و " كيوموجو " وجالستهم وجها لوجه في حفل للسلام في بكين ١٩٥٢ .

في مؤتمرات السلم العالمي كنت هناك الممثل لحركة السلم العراقية في بداياتها، وفي كل مؤتمر كان خطابي يجأر ضد " حلف بغداد " مما أدى في سنة ١٩٥٤ إلى إسقاط جنسيتي في العهد الملكي مع عزيز شريف رئيس حزب الشعب آنذاك والدكتور صفاء الحافظ أستاذ القانون الدولي في كلية الحقوق. وكان إسقاط جنسيتي يحمل توقيع وزير الداخلية الكردستاني القومية . بكل أسف . سعيد قزاز والعميل في وزارة نوري سعيد. وفي ثورة تموز ١٩٥٨ حكم بالإعدام مع مدير الأمن بهجت العطية لما اقترفاه من جرائم ضد الوطنين.

ظل شاعرنا الراحل كاظم السماوي مبدعا في نثره كما هو في شعره، يألف الرحيل من منفى إلى آخر عبر أكثر من نصف قرن، يعبّر عن ذلك شعرا، كما عبّر عنه نثرا، وهو القائل:

" وظللت والطرقات تسكنني
ويألفني الرحيل.. إلى الرحيل
وعدت ظلا لا أرى إلاي
والأيام تعدو في خطاي
ولا أرى الأشياء.. في الأشياء
والاسماء في الاسماء "

××××

" ولما أزل رغم دربي الطويل
على كتفي الأنجم الحالمة
ولما يزل ألف وجه يلوح
ويخبو على شفتي الباسمة "

××××

ولأنني اخترت أرفض يأسي
ألعنها إن ملئت.. أو فرغت كأسي
فأنا في صمت الصمت .. أنا الصوتْ
وأنا النجمة في ليل الموتْ!

وكما أصبح بيت الشعر لأبي القاسم الشابي

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ملهما للشعوب المتطلعة للحياة والحرية حتى أنه بات شعرا يُتغنى به ويتردد اليوم من خلال الزلزال السياسي الذي يمر بمنطقتنا العربية. فإن الشاعر الراحل كاظم السماوي، الثائر، اختزل شعره الثوري ببيت واحد حري بنا أن نتبناه ونتغنى به اليوم وهو:

يا ريح " هانوي " هبي في مرابعنا حمراء.. تلهمنا حقدا وإيمانا.

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني: علي كاطع

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

حوار مع الشاعر الراحل كاظم السماوي

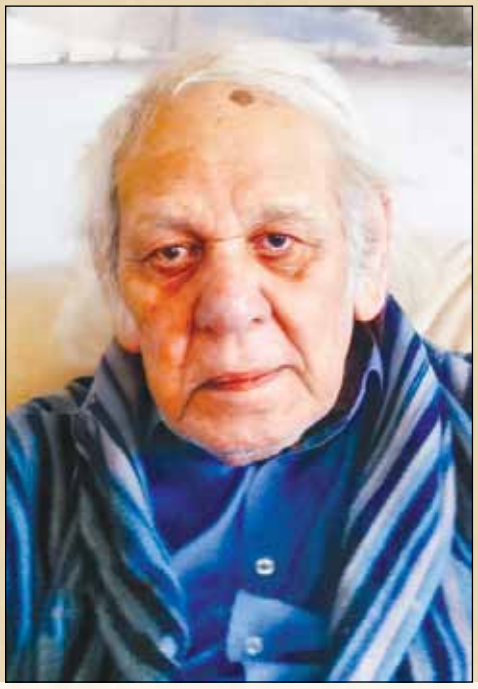

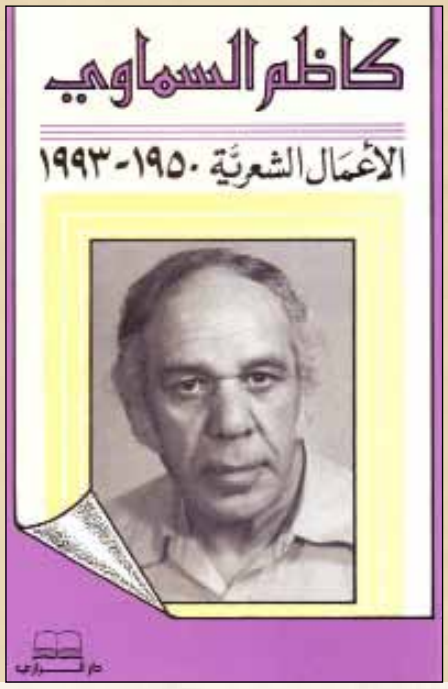

كاظم السماوي شاعر عراقي كبير ، عرف النفى منذ اواسط خمسينيات القرن الماضي ، غادر العراق الى المهجر وتنقل في بلدان عدة ، ولكنه عاد مع ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ م ليتقلد منصب مدير عام الاذاعة في بغداد ، وقد ارتبط بعلاقة وثيقة مع الشعب الكردي من خلال صحيفته الانسانية التي اصدرها ببغداد بعد ثورة تموز وناصر فيها قضية الشعب الكردي مما ادى الى زجه في السجن . التقيته في ستوكهولم حيث يعيش واحببت ان ادردش معه عن اشياء كثيرة ، ولكن ضفاف البحيرة التي التقيته قربها وازدحام الناس بمناسبة الصيف الجميل اضطرني الى الاختصار في الاسئلة , وهنا بعض ما دار بيننا من حديث .

مؤيد عبد الستار

× كيف عرفت كردستان ؟

– اول مرة ذهبت فيها الى كوردستان كانت زيارة اصطياف ، كان ذلك عام ١٩٤٠ ، زرت شقلاوة ، وكانت المفاجأة في عدم وجود فنادق فيها ، فاستأجرنا (كبرة) قرب ساقية ، اذكر كنا نضع فيها الفاكهة لتبرد . في تلك الزيارة عرفت القرية الكوردية ، ولمست الفقر ، كانت هناك مقهى صغيرة ، حين يزورها الاقطاعي ينهض الناس لتحيته.

× هل هناك زيارات اخرى تلت تلك الزيارة؟

– في الستينات دعيت الى كردستان، كان في اربيل تلفزيون اسود وابيض ، وقدمني في برنامج تلفزيوني الاستاذ مصطفى صالح كريم ، كما نشرت بعض القصائد في صحيفة (خه بات – النضال) ، وبعد اعوام اسهمت في جريدة النور التي كانت تصدر ببغداد ، فتوطدت علاقتي مع الشعب الكردي والقوى السياسية الكردية .

اذكر في احدى السنوات العجاف اختفيت في اربيل ، فكانوا اثناء اختفائي يقدمون لي الكباب ولبن اربيل ، وذلك لدواع امنية ، اذ كان يسمح لاحد الموثوقين فقط ان ياتيني بالطعام .

لقد استقر بي المقام في كردستان عدة سنوات ، ثم اضطررت للمغادرة الى الخارج ، ولكني عدت من جديد بعد التغيير الذي حصل وسقوط النظام الدكتاتوري ، عدت الى كردستان ، فاصدرت من جديد جريدة الانسانية ، ووزعت في السليمانية ، وكانت حافلة بمقالات الادباء الاكراد مثل د . عز الدين رسول ومصطفى صالح كريم ، ولكن ظروفي الصحيةلم تسمح لي بالاستمرار في اصدارها.

× كيف كانت عودتك الى كردستان؟

– استقبلت استقبالا كبيرا ، أقام الاستاذ جلال الطالباني حفل استقبال اشاد فيه بموقفي من القضية الكردية ، التي واكبتها منذ عام ١٩٤٧ ، شعرا وموقفا سياسيا .

كما ترجمت بعض قصائدي الى اللغة الكردية ، وقد قدمني في تلك الامسية الاحتفالية الدكتور عز الدين رسول.

× هل عملت في الصحافة الكردية ؟

– نشرت مذكراتي تحت عنوان خمسون عاما من الرحيل بين المنافي في اكثر من ثلاثين حلقة في جريدة الاتحاد ، بجانب العديد من القصائد والمقالات الاخرى .

× ماذا عن المقابلات التلفزيونية وهل ترجمت اعمالك الى اللغة الكردية؟

– كانت المقابلات في اللغة العربية ، وكانت عن الشعر ، اذ قرأت بعض قصائدي ، وحوار عن شعري وقصائدي عن كردستان ، وعن الموقف السياسي .

× هل تعلمت او حاولت تعلم اللغة الكردية؟

– بسبب اتقان الادباء الكرد للغة العربية لم الجأ الى الحديث باللغة الكردية ، ولكن احفادي الان يتكلمون الكردية بطلاقة ، ولابد ان اذكر هنا الزميل عادل مراد ومساندته لي حين كان مديرا للاعلام ، كان موقفه مشجعا ودائم الترحيب بي فجعلني ارتبط بقوة بمجتمع مدينة السليمانية ، وكانت معرفة سكان المدينة بموقف جريدة الانسانية المناصر للقضية الكردية في الستينات مثار اعتزاز لعلاقاتنا السياسية والثقافية ، إذ قامت جريدة الانسانية في اعوام الستينات بنشر افتتاحياتها وبمانشيتات كبيرة تطالب بالسلم في كردستان، وكان هذا الموقف مناهضا للقوى العسكرية التي كانت تهاجم الشعب الكردي.

× كيف تقارن بين حياتك في كردستان وفي السويد؟

– لقد عانيت من العزلة الثقافية (الادبية) وكذلك صعوبة الكتابة بسبب مرضي ، كما عانيت شتاء السويد وحرمت من الاجواء الجميلة وخاصة ربيع السليمانية ، وافتقد حرارة العلاقات الودية للاصدقاء والادباء ، اسماء كبيرة من الاصدقاء افتقدها مثل شيركو بي كه س والدكتور مصطفى عز الدين وجوهر كرمانج والعديد من الاخوة الاعزاء.

× هل تذكر اغنية كردية اعجبتك ؟

– اذكر احدى المرات كنت في حفل في كردستان ، سمعت اغنية جميلة ، ترجم كلماتها لي احد زملائي ، وكانت من الغزل الفاضح ، وعلمت بعد ذلك ان الاغاني الكردية تتحدث عن المرأة بجمالية عالية ، وارى ان العديد من اغاني الدبكة والاغاني الراقصة الكردية مطربة ومثيرة.

× هل كانت اغنية شمامة خلخالة للاخوين برايان زيزي ؟

– ربما ، لاأذكر .

× وهل جربت رقص الدبكة الكردية ؟

– قهقه الشاعر كاظم السماوي وقال : للاسف لم أرقص وأدبك حتى في أيام شبابي .

× الادب الكردي بدأ يشق طريقه نحو القارئ العربي والاجنبي ، كيف هي علاقتك بالشعر الكردي الحديث؟

– قرأت ديوان كوران وقصائد شيركو بي كه س ، وكتبت مقدمة لديوانه مضيق الفراشات ، وكنت اقرأ اشعار وقصائد الشاعرات الكرديات ، وما زلت معجبا بالصراحة الغزلية الجريئة ، ولعل الشاعرة كه زال احمد اجمل من كتبن عن الغزل.

واخيرا لابد ان نشير ان في مقابلة اجرتها احدى المحطات مع السيد رئيس الجمهورية جلال الطالباني اجاب على سؤال حول ريادة الشعراء في مناصرة كردستان ، ذكر الرئيس الطالباني ان الشاعر كاظم السماوي اول شاعر عراقي يناصر كردستان بشعره .

من قصيدة للسماوي نظمها عام ١٩٧٢ بعنوان كردستان وردة الدم ... وردة الجمر :

مجدت كردستان شهدك علقم
للفاتحين ، ونجم ليلك أسحم
خمسون عاما والطوارق لم تزل
في ساحها لاتستكين وتضرم
في كل عرق نقمة مشبوبة
وبكل صدر ثورة تتضرم
فكانما تلك الشدائد تلهم
ما لص من حق مبين يهضم
وكانما تلك الدماء ذبالة
لاتنطفي ابدا ولا تتجهم
هي فوق هاتيك الروابي راية
حمراء ، تخفق في الذرى وتهوم
من اي جرح من جروحك ألثم
وباي نار من كفاحك أقسم

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون